تأثير الآرامية على العبرية

الباحث : أحمد طه ياسين ندا

مستخلص البحث

إن دراسة تأثير اللغة الآرامية على اللغة العبرية له تأثير كبير على الدارسين في تأريخ اللغات السامية . خاصة انه كثير من الباحثين حاولوا إنكار هذا التأثير . لكننا وفي بحثنا هذا البسيط والميسر حاولنا إثبات هذا الأثير الذي استمر من عام 587 ق.م وهي بداية السبي البابلي وحتى ظهور الإسلام الذي انتشر وعم المنطقة كلها .حتى عومل اليهود على أنهم أهل كتاب فتركت لهم حرية العقيدة والثقافة وهكذا بدأت اللغة العبرية في الظهور من جديد . فقامت نهضة لغوية أدبية اهتم اليهود على أثرها بدراسة النحو من لغتهم متأثرين بالنحاة العرب .

المقدمة

تنتمي اللغتان العبرية والآرامية إلى مجموعة اللغات السامية التي وفد المتكلمون بها في العصو ر التاريخية من الجزيرة العربية المهد الأصلي للساميين إلى المناطق الزراعية في أرض الرافدين وسوريا ولبنان القديم وفلسطين والحبشة، ويبدو أنّ هذه الشعوب السامية كانت تؤلف كتلة واحدة باجتماعها في صعيد جغرافي واحد، والتحدث بلهجات لغة واحدة، وباشتراكها في أصل حض اري وتاريخي، وقد جعلت كل العوامل مجموعة اللغات السامية تتميز عن غيرها بخصائص وصفات مشتركة، منها التشابه الكبير في الاصوات والصيغ والتراكيب النحوية والمفردات.

ومن هنا يرى الباحثون أنّ هذه اللغات ترجع إلى أصل مشترك أطلقوا عليه (اللغة السامية الأم)، وأغلب الظن أنّ هذه اللغة الأم قد عاشت في الجزيرة العربية، وانتقلت إلى بلاد الرافدين والشام واليمن والحبشة، مع الهجرات التالية للساميين الأوائل من المهد الأ صلي لهم، وفي هذه المناطق تفرعت إلى لغات مختلفة، ولا يدري أحد على وجه اليقين الثابت على أي صورة كانت اللغة السا مية الأم.

تأثير الآرامية على العبرية

طوال مدة الهيكل الأول (معبد سليمان – حوالي عام 973 ق. م وحتى السبي البابلي في عام 587 ق.م) كانت اللغة العبرية هي اللغة الرسمية والدينية الشائعة الاستعمال على لسان اليهود في فلسطين، وهو دور فصيح وصلت فيه إلى قمّة ازدها رها في عهد سليمان وربّما في عهد أبيه داود أيضاً، وبعد تخريب الهيكل الأول على يد الملك البابلي نبوخذنصر (بختنصر) عام 587 ق.م، انحدرت اللغة العبرية وفقدت مكانتها كلغة رسمية بين اليهود لانهيار الدولة، واقتصر استعمالها على المحيط الديني فقط إذ استمرت لغة للحكم اء يستعملونها في المعابد، وبدأت اللغة الآرامية – التي كانت سائدة بين شعوب الشرق القديم – تحلّ محلها، وهنا تأثرت اللغة العبرية بالتيار الآرامي الكلداني، وأصبحت اللغة الآرامية – وهي سامية الأصل أيضاً – اللغة الرسمية الشائعة الاستعمال على لسان اليهود، حتّى أنّ حكماءهم قاموا بترجمة العهد القديم إلى الآرامية – وهي ما عُرف باسم (الترجوم) – وذلك عندما أصبح اليهودي يجهل اللغة العبرية، ويحتاج إلى ترجمة بلغة يعرفها ليفهم النصوص الدينية التي يعتمد عليها في العبادات والمعاملات، كل ذلك قصر اللغة العبرية في النهاي ة على المجامع العلمية والدينية، وكانت منذ القرن الثالث قبل الميلاد قد أصبحت لغة مغايرة في روحها وتراكيبها للغة العهد القديم، وبهذه اللهجة كتبت المشنا وهي مجموعة الشرائع الشفوية التي تناقلها أحبار اليهود إلى ذلك الوقت، وتختلف عبريتها عن عبرية العهد القديم، حتّى أنّ علماء اليهود اختصوها بنحو خاص بها، ووجدت في عبرية المشنا ألفاظ دخيلة من الفارسية واليونانية واللاتينية والعربية فضلاً عن الآرامية.[i]

ويتضح من خلال دراسة العهد القديم، وعلى الأخص في الأسفار المتأخرة، تأثير اللغة الآرامية سواء من الناحية النحوية، أو من ناحية المفردات، أو من ناحية الأسلوب . والعلاقة بين شعب إسرائيل والآراميين يرد ذكرها في (سفر القضاة 3: 8)[ii]، وقد استمرت هذه العلاقة في عصر داود وملوك يهودا وإسرائيل الذين جاءوا من بعده، وقد زاد تأثير الآرامية، وانتشرت في الشرق الأوسط بعد تخريب مملكة آرام.

وقد كان الرابي سعديا هجاؤون أول مَن أيّد هذا الرأي بأقوال حادة وعنيفة، ففي مقدمته لكتاب (הֶאגְרון) (القاموس) يشتكي قائلاً: (في العام المائة والحادي بعد خراب مدينة الهنا بدأنا نتخلى عن اللغة المقدسة، ونتحدث بلغات شعوب الأرض الاجنبية ...)، وقد تكررت شكاوى من هذا النوع في أقوال حكماء العصور الوسطى، وكان أساس هذا الرأي هو الاعتماد على التفسير التلمودي للآية (وقرأوا في السفر في شريعة الله وفسروا المعنى وأفهموهم القراءة) (نحميا 8 : 8). ذلك أنّ التفسير يرى أنّ كلمة (فسروا) تعني الترجمة إلى الآرامية، التي كان الشعب لا يفهم غيرها في ذلك الوقت.[iii]

وقد أيّد العديد من الباحثين المحدثين هذا الرأي، [iv] ومن بينهم البروفسور ن . ه. طورسيناي[v]، ورأيهم هو : انّ اللغة العبرية توقفت بشكل عام عن أنْ تكون لغة حياة في أيام سبي بابل، واقتصر دورها على مجال الدين وتعليم الشريعة . وهكذا أصبحت اللغة العبرية في تلك الحقبة، مثل اللغة اللاتينية في العصور الوسطى، لغة الحكماء والكهنة في حقبة الهيكل الثاني وإلى ما بعد ذلك بمائتي سنة، و ما أن توقف تدريس التوراة في المدارس التوراتية في فلسطين وانتقل إلى بابل انتهى تماماً وجود اللغة العبرية أمام نفوذ اللغة الآرامية.[vi]

لكن هناك بعض الباحثين من اليهود يرى أنّ هذا الراي مبالغ فيه، وأنّ هنالك أدلّة تناقض ذلك وتثبت أنّ اللغة العبرية لم تندثر تماماً في مواجهة نفوذ اللغة الآرامية، ومن بين هؤلاء زئيف حوسكي رئيس لجنة المدرسين في جراتس كوليج وأستاذ اللغة العبرية في دورفسي كوليج بفيلادلفيا، يقول جوسكس في كتابه (اللغة العبرية في طريق تطورها) تأييداً لوجهة نظره:

أولاً: من المستحيل أنْ نتصور أنّ المنفيين الذي أقاموا على أنهار بابل وبكو لدى تذكرهم صهيون (المزامير: 131: 1)[vii] قد صرفوا النظر عن لغة وطنهم فور سبيهم مباشرة مستعملين لغة أعدائهم الذين سبوهم، إنّ اللغة ترتبط وتلتصق بتجارب أبناء الأمة وآمالهم ، وليس شيئاً قابلاً للتبادل والتغيير مثل (שקול) (الشاقول) ،[viii] يتنقل من تاجر إلى آخر، وخاصة إنّ هذه اللغة أداة تعبير لأدب مقدس مثل أدب التوراة، الذي استسقى منه أبناء المنفى الصمود والتعزية والأمل.

ثانياً: إذا كان أبناء المنفى والمسبيون قد ارتكبوا الخطيئة ونسوا اللغة، فليس من المحتمل أنْ يقوم أبناء أنبياء المنفى أمثال حزقيال، وأشعيا الثاني، وزكريا، وملاخي الذين وبّخوا الشعب ع لى كلّ أنواع الخطايا والجرائم، بالتجاوز على خطأ جسيم وهو نسيان اللغة.[ix]

وهاتان الحجتان اللتان يستند عليهما حومسكي حجتان ساقطتان من أساسهما للاعتبارين التاليين:

الأول: إنّ اليهود حينما سبوا إلى بابل وبدأوا في استعمال الآرامية، لم تكن الآرامية غريبة بالنسبة لهم؛ لأنّها كانت اللغة السائدة في منطقة الشرق الأوسط بأسره في ذلك الوقت وكانت لغة المراسلات الدولية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ التقارب الشديد بين العبرية والآرامية لم يجعل اليهود يشعرون أنّهم يستخدمون لغة جديدة تماماً عليهم او غريبة عنهم، ومن ثمّ فإنّهم استجابوا واستسلموا لاستعمالها وتخلّوا عن العبرية دون أنْ يجدوا صعوبة في ذلك.

الآخر: بالنسبة للنقطة الخاصة ببكاء المسبيين على أنهار بابل وشوقهم إلى صهيون، فإنّه من المعروف أنّ المزامير كتبت بعد السبي بمدة طويلة، وإنّ المزامير شأنها شأن أجزاء كثيرة من العهد القديم كتبت في إطار محاولة إعادة صياغة للوجدان القومي اليهودي وارتباطه بأرض فلسطين، وكتب التاريخ القديم والحديث تزخر بالكثير من الإشارات التي تؤكد أنّ اليهود في بابل قد طابت لهم الإقامة والحياة هنالك، ولم يبكوا من أجل صهيون، وليس أدلّ على ذلك ما كتب ه حاخام انجلترا الأكبر عام 1917 من أنّه بعد انّ أصدر قورش إمبراطور فارس الذي استولى على بابل أمراً يسمح لليهود بالعودة إلى فلسطين، فإنّ (الجماهير الرئيسية للشعب اليهودي بقيت في بابل)،[x] كما كتب المؤرخ الأمريكي أ. ت أولمتد: (كان من الصعب التوقع انْ يترك اليهود، بعد أنْ اغتنموا بابل الخصيبة من اجل هضاب اليهودية الجرداء).[xi] ويذكر المؤرخ الصهيوني الأمريكي سالو د. بارون في حديثه عن مرحلة أكثر قدماً إلى حد من حياة السبط اليهودي في بابل، واقعاً ا مغزى كبير من وجهة نظر المشاعر المسيطرة في أواسط البابليين : (لقد أصر زعماء السبط البابلي على أنّ قتلى في جميع يلدان السبي اليهودي (من أجل صحة حكماء بابل، قبل أي شيء آخر).[xii]

وقد اتاح العدد والرفاهية المادية لآباء اليهودية الروحيين في بابل انْ يؤكدوا – كما يشهد بذلك سالو د. بارون – (هنا (أي في بابل) يسكن مصدر الحكمة والنبوءة، ومن هنا بالذات (وليس في القدس) يشع الإكليل المتألق على شعبه).[xiii]

وهكذا فإنّ خرافة الرغبة الجارفة لليهود في العودة إلى فلسطين تتحطم على صخرة الواقع التي يعود تاريخا إلى القرن الأول الميلادي، وكان هناك من الأنبياء مَن يشجع اليهود على الاستمرار في الإقامة في بابل والتزاوج والتكاثر، وليس أدلّ على ذلك من نداء أرميا: (ابنوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا بساتين وكلو من ثمارها، خذو نساءً ولدوا بنين وبنات، وخذوا لبنيكم نساء واعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين وبنات، واكثروا هنالك ولا تقلّوا، واطلبوا سلام المدينة التي سيبتكم إليها، وصلّوا من أجل الرب؛ لأنّه بسلامها يكون لك م سلام). (أرميا 29: 5: 8).[xiv]

وحومسكي بالرغم من هذا يستدل على وجود اللغة العبرية واستخدامها في عصر المكآبيين بأدلّة ليس فيها ما يثبت وجهة نظره بشكل قاطع، إنّه يستشهد بوجود كلمة (חרוּת) (حيروت)[xv] على عملات الحشمونائيين، ويقول إنّ هذه الكلمة هي من لغة المشنا[xvi]، وليس لها وجود في لغة العهد القديم ولا في اللغة الآرامية، وإنّه لو كانت اللغة الآرامية شائعة الاستعمال في فلسطين في حقبة الهيك ل الثاني لاستخدم ملوك الحشمونائيم كلمة آرامية أو كلمة مقرائية، وما لجأوا لاستخدام كلمة من لغة (اصطناعية) عن لغة الحكماء.

ومن المعلوم أنّ عدد الحكم العبرية التي في التلمود الأورشليمي يقرب من ضعفي عدد الحكم الآرامية، ولغة هذه الحكم وأسلوبها يشير إلى دلائل أصالة عبرية لا يمكن الشك فيها، وتدل دلالة قاطعة على حيوية انتاج اللغة العبرية المشنائية وقوتها.

وقد استجدت في هذه المدة الكلمات: (הרי – עִבְשָׁ ו - כִּיצַד - הואיל)[xvii] وغيرها، وتعبيرات لا يمكن الجزم بانّها استجدت في المدارس أو المعابد، وذلك لأنّ رائحة الحقل والسوق والواقع اليومي تفوح منها.[xviii]

وهذا الرأي لا غرابة فيه، إذ لنا أنْ نتصور أنّ بقايا اللغة التي كانت تستخدم في الحياة اليومية في فلسطين حتى حقبة السبي البابلي وهي لغنة المشناة، ظلّت آثارها باقية لحقبة ما بعد السبي ولعدّة أجيال، بحيث يمكن أنْ تدخل بعض كلماتها العامية إلى قمّة الانتاجات بعد ذلك، التي كان اليهودي ما زال قادراً على تذكّرها أو فهمها.[xix]

وهكذا انتهى أمر اللغة العبرية ك لغة حية بين اليهود، وحلّت محلها الآرامية؛ ولذلك جاءت نصوص الجمارا بالآرامية شرحاً لشرائع المشنا (ومن المشنا والجمارا يتكون التلمود)، وانحصر أمر العبرية في المعابد اليهودية يصلّون بها، وبعد أنْ قضى الإمبراطور الروماني هادريان عام 135م على الكيان اليهودي في فلسطين وطردهم منها، تشتّتوا في شمال إفريقيا وأوربا، ثم عاش اليهود منذ القرن الثالث الميلادي في الأندلس تحت حكم القوط المسيحيين الغربيين في اضطهاد شديد، ومع ظهور الإسلام الذي انتشر وعمّ المنطقة كلّها وبمجرد انْ دخل الإسلام إلى الأندلس حتى صبغها بالصبغة الع ربية من حيث عاداتها وتقاليدها، وعومل اليهود على أنّهم أهل كتاب فتركت لهم حرية العقيدة والثقافة، وهكذا بدأت اللغة العبرية في الظهور من جديد، فقامت نهضة لغوية أدبية اهتم اليهود على أثرها بدراسة ال نحو من لغتهم متأثرين بالنحاة العرب.[xx]

ولا تزال بقايا من الآرا مية، وربما حتى هذا اليوم في جوار بحيرة أرميا Urmia Lake في طور عابدين[xxi] Tur Abdin وقرب الموصل. ويجب أنْ نتذكر أنّ الآشوريين (وهم السكان الناطقون بالآرمية) قد أزيحوا من مكانهم بعد الحرب العالمية الأولى، وهم يعيشون الآن في مجتمعات متفرقة في الولايات المتحدة وفي روسيا.[xxii]

الاستنتاجات

من خلال بحثنا هذا الذي أثبتنا فيه التأثير الآرامي على اللغة العبرية توصلنا إلى النتائج والاستنتاجات التالية :

1. إن اللغتان العبرية والآرامية هما من أصل سامي مشترك.
2. إن التأثير الآرامي على اللغة العبرية استمر منذ بداية السبي البابلي عام 587 ق.م وحتى ظهور الإسلام.
3. إن اللغة العبرية فقدت مكانتها كلغة رسمية بين اليهود لانهيار الدولة اليهودية.
4. اقتصرت اللغة العبرية في تلك الفترة على المحيط الديني فقط . حيث يستعملونها الحكماء في المعابد فقط.
5. إن حكماء اليهود قاموا بترجمة العهد القديم (التوراة) إلى ما يسمى (بالترجوم) .
6. لقد وجدت في عبرية المنشأ ألفاظا دخيلة من الفارسية واليونانية واللاتينية فظلا عن الآرامية . وهذا دليل كبير على التأثير الآرامي.
7. إن للإسلام دور كبير في ظهور اللغة العبرية من جديد، حيث ترك لهم الإسلام حرية العقيدة والثقافة ، فقامت على أثرها نهضة لغوية أدبية واسعة استفاد منها اليهود.
8. لا تزال بقايا من الآرامية حتى يومنا هذا ولكنهم في مجتمعات متفرقة من بلدان العالم.

هوامش البحث

([i]) راشد،د.سيد فرج، اللغة العبرية، قواعد ونصوص، الرياض، 1993م، ص 17.
([ii]) الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد، بيروت، 1986، ص 293.
([iii]) الشامي،د.رشاد، تطوّر وخصائص اللغة العبرية القديمة – الوسيطة – الحديثة، القاهرة، 1978، ص 21.
([iv])גֵּיגֵר . אַבְרָהָם : מָבוא סִפְרו " דִּקְדּוּק לשון הַמִּשְׁנָה " . . 1976.
([v])טור-סִינַי : הַלָּשון והַסֵּפֶר ، עמ" 110 . .1968.
([vi]) الشامي: رشاد، المصدر السابق، ص 22.
([vii]) الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص 780.
([viii]) : الحمال أو العتال، انظر: قوجمان، ي، قاموس عبري – عربي، بيروت، 1970، ص 977.

([ix])חומְסְקִי .זאֵב : הַלָּשון הָעִבְרִית בְּדַרְכֵי הִתְפַּתְּחוּתָה ، הוצָאַת רָאוּבֵן מַס ، יְרוּשָׁלַיִם - 1972 ، עמ" 236 .

([x]) Sokolow. N: History of Zionism, vol.11.Oxford.1975. p 105.
([xi]) Olmstead A. T.: History of Persian Empire – phoenix Book, 1960, p. 57.
([xii]) Salo .W. Baron: A social and Religions History of the Jews, 2dadl, vol V.N.Y. 1957, p. 25.
([xiii]) Ibid, p. 25.

([xiv]) الكتاب المقدس، المصدر السابق، 981.
([xv]) (חֵרוּת) (حيروت) انظر: قوجمان، ن المصدر السابق، وتعني الحرية.
([xvi]) لغة المشنا: أصل هذه الكلمة هو الفعل (שָׁנָה) الذي يعني كرر – أعاد، ومن هنا جاء الاصطلاح: (מִשְׁנָה תּוֹרָה) (نسخة من الشريعة) (سفر اللاويين 17: 18).
([xvii])(הֲרֵי) : هو ذا، هاهو، اليس هذا، إذن.
(עַכְשָׁו) : الآن، في هذه اللحظة، حالياً.
(כֵּיצַד) : كيف، بأي صورة، بأي شكل.
(הוֹאִיל) : بما أنّ، حيث إنّ ، لكون، أنظر : שגִיב ، ד ، מלון עברי - ערבי ، **4** כרכים ، תל-אביב ، **1985**. עמ" 430 ، **1325** ، **741** ، **359** .

([xviii])חומְסְקִי .זאֵב : ، עמ" 238 .

([xix]) الشامي، رشاد، المصدر السابق، ص 25.
([xx]) راشد، سيد فرج، المصدر السابق، ص 18.
([xxi])**Tur Abdin** طور عابدين: بُليدة من أعمال نصيبين في بطن الجبل المشرف عليها المتصل بجبل الجودي، انظر : معجم البلدان، للشيخ ياقوت الحموي (ت 626ه)، بيروت، لبنان، 1996، المجلد الثالث، ص 271.
([xxii]) سباتينو موسكاتي، مدخل في نحو اللغات السامية المقارن، ترجمة : مهدي المخزومي، عبد الجبار المطلبي، بيروت، 1997، محمود فهمي حجازي، ص 28.

المصادر:

أ - المصادر العربية:

1. الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد، بيروت، 1986.
2. راشد،د.سيد فرج، اللغة العبرية، قواعد ونصوص، ، الرياض، 1993م.
3. الشامي،د.رشاد، تطوّر وخصائص اللغة العبرية القديمة – الوسيطة – الحديثة، ، القاهرة، 1978.
4. قوجمان، ي، قاموس عبري – عربي، بيروت، 1970.
5. سباتينو موسكاتي، مدخل في نحو اللغات السامية المقارن، ترجمة : مهدي المخزومي، عبد الجبار المطلبي، محمود فهمي حجازي بيروت، 1997.
6. معجم البلدان، للشيخ ياقوت الحموي (ت 626ه)، 4 مجلدات، بيروت، لبنان، 1996.

ب - المصادر العبرية:

([1]) גֵּיגֵר . אַבְרָהָם : דִּקְדּוּק לשון הַמִּשְׁנָה . .1976.
([2])טור-סִינַי : הַלָּשון והַסֵּפֶר . .1968.
([3])חומְסְקִי .זאֵב : הַלָּשון הָעִבְרִית בְּדַרְכֵי הִתְפַּתְחוּתָה ، הוצָאַת רָאובֵן מַס ، יְרוּשָׁלַיִם - 1972 .
([4]) שגִיב ، ד ، מלון עברי - ערבי ، 4 כרכים ، תל-אביב ، 1985.

ج- المصادر الإنكليزية:

1. Olmstead A. T.: History of Persian Empire – phoenix Book, 1960.
2. Salo .W. Baron: A social and Religions History of the Jews, 2dadl, vol V.N.Y. 1957.
3. Sokolow. N: History of Zionism, vol.11.Oxford.1975

Abstract

The study of the **Aramaic Language influence on the Hebrew Language** has a great impact on the researches in the history of Semitic languages. Particularly, many of researchers tried denying this impact. However, we try in this humble research proving the existence of this impact which continued from 587 BC (which is the beginning of the Babelian capture) up to the appearance of Islam which spread all over the region. Also the Jews were treated as followers of the Holly Book. They were free to choose the belief or education and thus the Hebrew Language began re-appearing again. So, a literal linguistic action appeared through which the Jews were concerned with studying the grammar of their language influenced by the Arab grammarians.